

على خطى مريم من المسجد الأقصى إلى دير مارسابا

تأليف

الدكتور أحمد مصطفى فواقة

كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة القدس
كلية الدعوة وأصول الدين – أم الفحم

1421 هـ / 2000 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه الأنبياء والمرسلين وبعد:

فلست ممن يعنى العناية الفائقة بأمر المكان في القرآن الكريم ولا يهمني تحديده ولا ذكر طينته فالمكان في القرآن الكريم مجرد مكان دون تحديد أو تقييد في الأعم الأغلب، وذلك حتى لا تتعلق النفوس بالأماكن وتعطيها هالة وقدسيتها مما يؤدي إلى المغالاة في أمر الأماكن كما نرى في كثير من الأماكن في زماننا هذا.

ولكن وكما ذكرنا فالقرآن الكريم – كما يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب وتبعه الدكتور علي حسن محمد سليمان¹ ينظر إلى المكان في قصصه على هذا الاعتبار أو قريب منه، إلا إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في يسر الحدث أو يبرز ملامحه أو يقدم شواهد العبرة والعظة منه.

وقد هالني متابعة² معظم المفسرين والذين كتبوا في قصص القرآن الكريم لأهل الكتاب في قصة حمل مريم عليها السلام وولادتها ونحن يجب أن نكون أكثر تحرزاً واحتياطاً وتمحيصاً عند رواية أخبار أهل الكتاب ولا نأخذ منها إلا ما علمنا صدقه، ولا يكون هذا إلا لما ورد في الكتاب والسنة فقط كما يقول الدكتور صلاح الخالدي³ لهذا كانت هذه الدراسة النظرية والعملية لما جاء في القرآن الكريم وصدقه، فهو عصارة من الحقيقة المصفاة كما ذكر العلماء جزاهم الله خيراً في شأنه⁴.

وقد حاولت جهدي أن أبرز الحقيقة كما هي وأصح المفاهيم الخاطئة في هذا الموضوع، وألتزم الموضوعية في بحثي.

فإن كان ما وصلت إليه صواباً فمن الله تعالى وحده وبتوفيقه، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان وأسأل الله تعالى المغفرة.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

كتبه: د. أحمد مصطفى فواقة

¹ انظر القصص القرآني في مفهومه ومنطقه للأستاذ عبد الكريم الخطيب صفحة 92

² عذرهم أنهم لم يعيشوا في هذه البلاد (فلسطين)

³ انظر قصص السابقين في القرآن. الدكتور صلاح الخالدي 42/1.

⁴ انظر مقدمة كتاب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه عبد الكريم الخطيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا *
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا
أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ
عَلِيِّ هَيْنَ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا *
فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا
مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزِي إِلَيْكِ
بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي
عَيْنًا فَاِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
فَلَنْ أَكُلَّمَّ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا *)

مريم عليها السلام ولدت ونشأت في منطقة المسجد الأقصى المبارك / القدس

قال تعالى: (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ...)

فوالد مريم (عمران) كما تذكر المراجع كان يعيش في منطقة المسجد الأقصى كما يقول الأستاذ حنا عبدالله جقمان (كان يواكيم – والد مريم – رجلاً تقياً وعظيماً بين العلماء في بني إسرائيل يقضي معظم أوقاته في خدمة الهيكل وكانت زوجته (حنة) لا تقل عنه عبادةً، ولما حملت نذرت أن تجعل ما في بطنها من الحمل مكرساً لخدمة الهيكل)⁵.

وقال وهب بن منبه: (كانت حنة أم مريم وكان أبو مريم رجلاً من بني إسرائيل يقال له عمران وكان إمام المسجد الأقصى)⁶ وأم مريم نذرت إن أنالها الله أمنيتها وحقق رجاءها ورزقها ولداً تتصدق به على بيت المقدس فيكون خادماً له⁷ واسم مريم يعني خادم الرب في لغتهم⁸ وكفلها زكريا عليه السلام وزكريا كان أحد أنبياء بني إسرائيل كما كان أحد من يقومون بخدمة المسجد الأقصى كما ذكر الدكتور أحمد شلبي⁹.

⁵ جولة في تاريخ الأرض المقدسة – حنا عبدالله جقمان صفحة 70.

⁶ بدائع الزهور في وقائع الدهور / محمد بن أحمد بن اياس صفحة 182

⁷ قصص القرآن / محمد أحمد جاد المولى صفحة 245 / ومحاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة صفحة 14، وتفسير القرآن العظيم / لابن كثير 185/3، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي 90/11 ومع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح طبارة 308، قصص الأنبياء لابن كثير 486، النبوة والأنبياء محمد علي الصابوني صفحة 90، وموسوعة القصص القرآني / د. حمزة النشري وآخرون 55/5، والمسيح في الإسلام / أحمد ديدات صفحة 32

⁸ الجامع لأحكام القرآن / القرطبي 68/4.

⁹ مقارنة الأديان المسيحية / د. أحمد شلبي صفحة 25.

بيت أهل مريم بجوار المسجد الأقصى

ومما يجد ذكره أن المراجع تشير إلى أن بيت أهل مريم كان بجوار المسجد الأقصى وهو ما يعرف اليوم بكنيسة القديسة حنه أو كنيسة القديسة مريم وهي ما عرف سابقاً بالمدرسة الصلاحية. يقال إن الكنيسة بنيت في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس على البيت الذي كان يسكنه والدا مريم العذراء وفيه حبلت القديسة (حنه) بمريم وفيه ولدتها¹⁰.



المدرسة الصلاحية
أو كنيسة القديسة حنه أو مريم وبداخلها منزل أهل مريم

¹⁰ بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ 204/3، عام 1087 حول صلاح الدين الكنيسة إلى مدرسة للفقهاء الإسلامي، وفي عام 1192 قدمها الأتراك هبة لفرنسا بعد حرب القرم 1856

" واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً "

بعد أن عرفنا أن مريم عليها السلام كانت تعيش في المسجد الأقصى وبيت أهلها بجوار المسجد الأقصى من جهة الشمال كما هو موضح في الصورة.
فبينما هي يوماً قد خرجت لبعض شؤونها (وانتبذت) أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى¹¹.
فاتخذت من دونهم حجاباً! أي محتجبة بحائط أو جبل على ما روي عن ابن عباس¹²، ويقول الغمام الطبري حجاباً من الجدران¹³ ويقول الأستاذ الصابوني: أي جعلت بينها وبين قومها ستراً وحاجزاً¹⁴ ويقول الفخر الرازي (لم تقتصر على أن انفردت إلى موضع بل جعلت بينها وبينهم حائلاً من حائط أو غيره¹⁵).

للمسجد الأقصى باب إلى الشرق

وللمسجد الأقصى بابان إلى جهة الشرق لا يزالان باديان إلى اليوم يسميان بباب الرحمة وباب التوبة وهما بابان متحدثان في السور الشرقي للمسجد الأقصى المبارك وهما الآن غير مفتوحين والذي يظهر أنهما قديمين أو على نظام الباب القديم من زمن مريم حيث يذكر الأب يوسف نعمات أنه كان للهيكل – حسب رأيه – باب إلى الشرق، وكان يطل على وادي قدرون¹⁶. والخارج من باب الأسباط هذه الأيام أو من باب الرحمة لو كان مفتوحاً باتجاه كنيسة الجسمانية يجد أمامه إذا التفت جهة المسجد الأقصى بعد أن يصل هناك أن تلة صغيرة كالجبل تحجز ما بين المسجد الأقصى وذلك المكان الذي يسمى وادي قدرون¹⁷.



باب الأسباط
الباب الوحيد المفتوح من الشرق



باب الرحمة: أحد أبواب المسجد الأقصى والذي
يفتح إلى جهة الشرق. (وهو الآن مغلق)

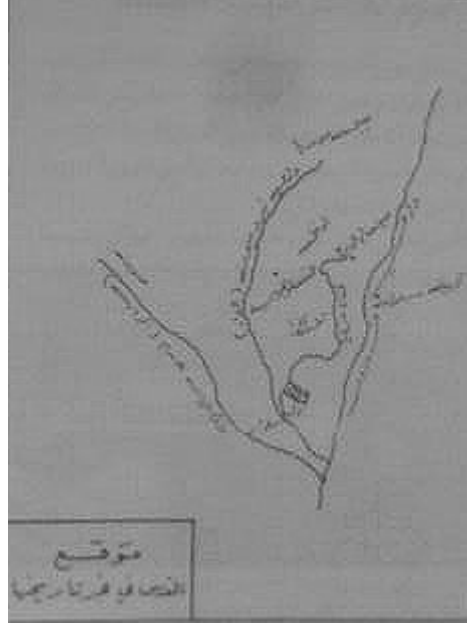
¹¹ البداية والنهاية / لابن كثير 14/2 وبيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية / محمد محمد حسن شراب صفحة 6، وتفسير روح المعاني للألوسي 73/8 وصفوة التفاسير / محمد علي الصابوني 213/2، وجامع البيان في تأويل أي القرآن / الطبري 60/16، وتفسير الفخر الرازي / الرازي 196/11، وتفسير أبي السعود 421/3 وابن كثير 185/3.
¹² روح المعاني / الألوسي 74/8
¹³ جامع البيان في تأويل أي القرآن / الطبري 60/16.
¹⁴ صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني 213/2.
¹⁵ تفسير الفخر الرازي / الرازي 196/11.
¹⁶ بشرى الخلاص / الأب يوسف نعمات صفحة 17.
¹⁷ قدرون كلمة ربما كان معناها (أسود) ومن أسمائه (وداي جهنم) وأما العرب فيسمونه (وادي سلوان) و(وادي ستي مريم) و(وادي النار) وفي القرن الثالث والرابع الميلادي دعي (وادي يهوشافاط) ويقول الأستاذ مصطفى الصباغ في كتابه بلادنا فلسطين 14/3 أقدم ذكر عثرنا عليه من هذا الوادي في المصادر العربية يعود إلى ما كتبه عنه (ابن الفقيه) في كتابه (مختصر البلدان) الذي ألفه عام 290هـ. 903م ص 101 (وطور زيتا – يقصد جبل الزيتون مشرف على المسجد – يقصد الحرم – وفيما بينهما وادي جهنم ومنه رفع عيسى عليه السلام، وعليه ينصب الصراط وفيه صلى عمر بن الخطاب وفيه قبور الأنبياء) ثم يقول (ثم ينحدر بين جبالطور والمدينة ويستمر في انحداره إلى مارسابا).

وادي قدرون في الإنجيل

بقول الأب يوسف نعمات (وهناك مجر مائي آخر ورد ذكره في الإنجيل هو وادي قدرون، وموقعه من الجهة الشرقية من مدينة القدس ويصب في البحر الميت)¹⁸

كنيسة الجسمانية

تقع في أسفل جبل الزيتون في وادي جهنم عند ملتقى الطرق بين القدس والطور وسلوان¹⁹.



بلادنا فلسطين: مصطفى الدباغ / الجزء الثالث



الجسمانية: حيث انتبذت مريم من أهلها مكاناً شرقياً،
ويظهر في الصورة باب الرحمة أحد أبواب المسجد الأقصى

¹⁸ بشرى الخلاص / الأب يوسف نعمات صفحة 10.

¹⁹ بلادنا فلسطين / مصطفى الدباغ 19/2.

مريم دفنت حيث انتبذت

تقع في أسفل جبل الزيتون عند ملتقى الطرق المؤدية إلى باب الأسباط وسلوان وجبل الطور على بعد 500 متر إلى الشرق من سور بيت المقدس كنيسة تسمى كنيسة سنتا مريم، وتحتوي على قبور (عمران، وحنه) والدي مريم عليها السلام وقبر مريم نفسها²⁰.

وفي الأنس الجليل (قبر مريم عليها السلام: هو في كنيسة في ذيل جبل طور زينا تسمى (الجسمانية) خارج باب الأسباط، وهو مكان مشهور يقصده الناس للزيارة من المسلمين والنصارى²¹. وفي عام 1104هـ 1689م زار هذه الكنيسة الشيخ عبد الغني النابلسي فقال (ولما مررنا في وسط ذلك الوادي أبصرنا باباً كبيراً يظهر للصادي والغادي فسألناها عنه: فقيل لنا ههنا قبر مريم بنت عمران²².

وكذلك الأستاذ حنا عبدالله جقمان يقرر أن مريم مدفونة هناك فيقول (ودفنت مريم في وادي (يهوشفاط) (كدرون) الواقع شرقي سور مدينة القدس مباشرة قرب بستان الجسمانية وأقيم فوق القبر الكنيسة التي تعرف حالياً باسم (كنيسة سنتا مريم). فلماذا اختارت مريم أن تدفن ههنا يا ترى؟؟؟

المسيح كان يتردد على هذا المكان

ويذكر الأستاذ مصطفى الدباغ أن المسيح كان يتردد على هذا المكان كثيراً طلباً للعزلة وترويح النفس²³.

فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً

بعد أن اعترلت مريم عليها السلام في المكان المذكور سابقاً وهو "وادي قدرون" أو ما يسمى الآن كنيسة الجسمانية لقبها جبريل عليه السلام وبشرها بسلام زكي وكان ما كان مما قصه علينا القرآن الكريم بقوله " فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا، فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا... " الآيات²⁴ أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس رضي الله عنه (إلى أقصى الوادي...) ²⁵ والموجود في منطقة الجسمانية يجد نفسه في وادي منحدر تدريجياً باتجاه بلدة سلوان ويستمر حتى يصل إلى مكان شبه مغلق على بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً وفي المكان دبر يسمى دبر مارسابا²⁶.

²⁰ بلادنا فلسطين / مصطفى الدباغ 20/2

²¹ الأنس الجليل 269/105.

²² بلادنا فلسطين صفحة 20/2

²³ بلادنا فلسطين / مصطفى الدباغ 19/2.

²⁴ الآيات 17 – 22 سورة مريم.

²⁵ تفسير القرطبي 92/11.

²⁶ إن مما دفعني للتفكير في هذا الموضوع ما ذكره لي أحد الثقات وكان يعمل في نقل احتياجات الدير على الجمال في أعوام الأربعينات من القرن العشرين 1946، مما يشبه الكرامات فخطر ببالي أن مثل ذلك لن يكون إلا لسبب مهم، فبدأت الدراسة وكان مما ذكره لي أن زقا للزيت وقع عن ظهر الجمل والدير يقع في منحدر سحيق فوق الزق وتدرج حتى أسفل الوادي فلما وصلوا إليه وجدوا أنه لم يسلم منه نقطة واحدة.

وانتفق جماعة من أهل قريته على قطع الطريق على قافلة الجمال التي تحمل مستلزمات الدير ولما كمنوا لهم ومعهم كامل عتادهم من بنادق مجهزة وكانوا أحد عشر رجلاً فحاول كل منهم أن يطلق النار باتجاه القافلة ولكن لم تخرج ولا رصاصة واحدة، ومرت القافلة بسلام. فقلت إن مثل هذا لن يكون إلا لأمر هام فكانت هذه الدراسة نظرياً وعملياً .

ودبر مارسابا كما يقول الأستاذ مصطفى الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين 511/2 من أديرة الروم الأرثوذكس شرقي بيت لحم وفي الجنوب الشرقي من بيت المقدس على بعد نحو 15 كيلومتراً.

والراهب (سابا) الذي نسب إليه الدير ولد عام 339م في ولاية كيدوكية Cappadocia (تركيا) من آسيا الصغرى ولما نزل هذه الديار ابنتى ديره هذا المشهور حوالي عام 484م وفي الدير نخلة تثمر رطباً بلا نوى.

وقد ذكر هذا الدير صاحب خطط الشام 35/6.



خارطة مارسابا
بلادنا فلسطين



دير مارسابا كما هو اليوم

فبعد أن جرى ما ذكر القرآن وحملت مريم عليها السلام سارت في هذا الوادي لا تلوي على شيء. وقد يتساءل البعض كيف سارت مريم هذه المسافة البعيدة؟ والجواب إن الدارس للحالة النفسية التي كانت عليها مريم عليها السلام والتي عبر عنها القرآن الكريم أصدق تعبير يعلم أنه من السهولة بمكان أن تسير هذه المسافة بل وأكثر، فهي فتاة شريفة عفيفة عذراء ذات تقاليد عائلية صالحة تفاجأ بأنها تحمل غلاماً بدون زواج وهي لئن كانت في الموقف الأول عندما (تمثل لها بشراً سوياً) تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها فانتفضت انتفاضة العذراء المذعورة (قال إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً).

فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة، وهي وإن كانت مطمئنة لبراءتها ولكن كيف تقنع من خلفها من أهلها وقومها، فسارت على وجهها لا تلوي على شيء وطبيعة الأرض والطريق تساعد على السير فظلت تسير ولولا آلام المخاض لما توقفت ولعل التعبير القرآني يجسد ذلك ويمثله أحسن تمثيل (فأجاءها المخاض...) إجابةً إلى جذع الخلعة فكأنه دفعها إلى اللجوء إلى جذع النخلة رغماً عنها. وكذلك قولها (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) يعبر عن الحالة النفسية المتعبة التي كانت عليها مريم عليها السلام في ذلك الموقف، فليس غريباً أن تسير مريم عليها السلام مثل هذه المسافة²⁷.

ما هو إلا ان حملت فوضعت

قال ابن عباس "خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس فجاءتهم عند الظهر ومعها صبي تحمله"²⁸. مما يشير إلى أن الحمل والولادة كانا في وقت واحد، يقول الدكتور محمد بن الشريف (ويحاول بعض المفيرين على الرغم من أن النصوص النبوية لا تسعفه بما يؤيد رأيه من أن مدة الحمل كانت كما هي العادة تسعة أشهر هلالية).

وإذا كان أمر الحمل على غير العادة فلماذا نخضعه للمدة العادية وهي تسعة أشهر هلالية؟ ولو كانت هناك مدة للحمل هذا كان لابد أن ترى آثاره وأعراضه على مريم ولا سيما في الأشهر الأخيرة منه، وكان لابد أن يلحظ قومها الآثار فلا يكون مولده مفاجأة لهم، لأن من تحمل لابد أن تضع وبالتالي لم يكن لحملتهم عليها مكان بعد أن رأوا حملها إبان تسعة أشهر، ولم يكن هناك كذلك مبرر لأن تجزع مريم عند الولادة لأن من حملت وهي تعلم طيلة تسعة أشهر انها حامل لا تحزن عند الولادة. وإذا كان القرآن الكريم أثبت جزع مريم عند الولادة وأثبت تقريع قومها لها بعد أن عادت إليهم وهي تحمله فكل ذلك يميل لنا إلى أن الولادة كانت عقب الحمل مباشرة من غير فاصل زمني.

يقول أبو الحسن ابن الأثير في كتابه (الكامل) اختلف في مدة حمل عيسى فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً) عقبه بالفاء²⁹.

قال القرطبي قال ابن عباس (ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال وهذا هو الظاهر لأن الله ذكر الانتباز عقب الحمل)³⁰.

²⁷ انظر كتاب التصوير الفني في القرآن / سيد قطب صفحة 148 وما بعدها.

²⁸ تفسير القرطبي 99/11.

²⁹ الأديان في القرآن / د. محمود بن الشريف صفحة 158.

³⁰ تفسير القرطبي 92/11 وابن كثير 188/3.

فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة

والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحراء كما حكاها القرطبي رحمه الله³¹.
وقال (النخلة) والتعريف للعهد: فالمراد نخلة معينة. ويقال إنها معينة له صلى الله عليه وسلم بأن يكون الله تعالى أراها له عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج.
ويقول أبو السعود في تفسيره (النخلة) التعريف للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس³². قال الألويسي رحمه الله: وزعم بعضهم أنها موجودة إلى اليوم³³.
قال ابن عباس (كانت جذعاً نخراً لما هزت نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحاً أحمر فصار زهواً ثم رطباً كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينسرخ منه شيء)³⁴.
ويقول الألويسي (كان أثمارها بدون رأسوفي وقت شتاء ومن غير لقاح كما هو المعتاد)³⁵.
ويقول الفخر الرازي (كأنه تعالى قال كما أن الأنثى لا تلد إلا مع ذكر فكذا النخلة لا تثمر إلا عند اللقاح ثم إنني أظهر الرطب من غير اللقاح³⁶ ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر)³⁷.
ويقول ابن كثير في قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآييناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)³⁸:
(المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس)³⁹ وقال (كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مثمرة والله أعلم).
ويحتمل أنها كانت نخلة لم تكن مثمرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذلك وقت ذمر، وقد يفهم هذا من قوله تعالى على سبيل الامتنان (تساقط عليك رطباً جنياً)⁴⁰.
وقال صاحب الأنس الجليل (ولم يكن في الزمن السالف ببيت المقدس من شجر النخيل إلا نخلة واحدة ويقال إنها المذكورة في القرآن العظيم في شأن مريم عليها السلام وهي منحنية⁴¹، قال القرطبي إنها غرست منذ ألف سنة وزيادة).
اما الأستاذ محمد حسن شراب فيقول (وكانت معجزة الولادة بعد معجزة الحمل أن جاءها المخاض إلى جذع نخلة لا تمر فيها فهزتها فتساقط عليها الرطب وأجرى الله لها نهراً فاكلت وشربت)⁴².

31 تفسير القرطبي 90/11.

32 تفسير أبو السعود 421/3.

33 روح المعاني / الألويسي 74/8.

34 تفسير القرطبي 95/11.

35 تفسير روح المعاني للألويسي 74/8.

36 ذكر من رأى النخلة في الأربعينات من القرن العشرين 1940 أنها كانت تنتج قطعاً واحداً في العام من غير تلقیح.

37 تفسير الفخر الرازي 196/11.

38 سورة المؤمنون آية 50

39 البداية والنهاية / ابن كثير صفحة 77.

40 البداية والنهاية / ابن كثير صفحة 66.

41 الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل / مجير الدين الحنبلي 60/2 مما يذكر أن مجير الدين الحنبلي مدفون قرب المكان الذي دفنت فيه مريم عليها السلام كما بينا.

42 بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية / محمد محمد حسن شراب صفحة 61.



النخلة القديمة قبل 1954



صورة النخلة التي نبتت مكان النخلة الأم كما هي اليوم

فأين هي نخلة مريم عليها السلام !!؟

الزائر لدير مارسابا اليوم يجد هناك نخلة صغيرة ذكر الراهب المسؤول عن الدير أنها نبتت مكان نخلة كانت موجودة سابقاً وذكر أن عمر النخلة الأم حين تم قطعها في عام 1954م حوالي ألفي عام⁴³.



جذع النخلة بعد قطعها 1954

⁴³ ذكر هذا لدى زيارة طلاب مادة القصص القرآني في كلية الدعوة وأصول الدين- القدس للدير في 14/11/1991 وحدثني من أتق به أنه رأى النخلة في الأربعينات من القرن العشرين 1940 وكان ارتفاعها يوازي الطابق الثالث في الدير وأنها كانت تخرج قطعاً واحداً من الرطب، وكان يأخذه الراهب ويضعه في غرفته ويأتي الناس ليأخذوا من ثمره للاستشفاء خاصة النساء اللواتي لا يحملن بدون سبب مرض عضوي، وقد جرب ذلك مع أكثر من امرأة وهن معروفات في قريته إلى الآن. كما ذكر أنه تمكن مرة في غفلة من راهب الدير من أخذ كمية ملء كفه من ثمر النخلة وبعد أن خرج من الدير بدأ يأكلها فذكر أنه لا يمكن مضغ الحبة بل لابد من مصها مصاً حتى إذا أوشكت على الانتهاء انفجرت مثل شهد العسل وأنه لم يكن فيها إلا نواة دقيقة مثل حبة الشعير، وأنه عانى من آلام شديدة في بطنه على أثر ذلك - انتفاخ - إلى أن ذهب والده إلى الراهب فأعطاه دواء من عنده أذهب كل ما كان يشعر به مباشرة والله أعلم.

قد جعل ربك تحتك سريراً

قال الجمهور: أشار لها إلى الجدول الذي كان قريب جذع النخلة، قال ابن عباس كان ذلك نهراً قد انقطع فأجراه الله تعالى لمريم⁴⁴.

وفي صفوة التفسير: قال ابن عباس: ضرب جبريل برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولاً⁴⁵.

قال الإمام الطبري: سريراً: النهر الصغير. عن البراء بن عازب، ابن عباس، عمرو بن ميمون، مجاهد، عن قتادة، عن الحسن.

سعيد بن جبیر، عن إبراهيم، الضحاك، معمر، وهب بن منبه، عن السدي⁴⁶.
وقال ابن كثير في تفسيره (قد جعل ربك تحتك سريراً)

قال: الجدول

وعن ابن عباس: السري: النهر.

قال مجاهد: هو النهر بالسريانية.

وقال سعيد بن جبیر: السري: النهر الصغير بالنبطية.

وقال الضحاك: هو النهر بالسريانية.

وقال إبراهيم النخعي: هو النهر الصغير.

وقال قتادة: هو الجدول بلغة أهل الحجاز.

وقال السدي: هو النهر.

وقال عمرو بن ميمون: نهر تشرب منه⁴⁷.

وفي البداية والنهاية (قد جعل ربك تحتك سريراً) قيل النهر وإليه ذهب الجمهور، لقوله (وهزي إليك جذع النخلة نساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب. ولهذا قال (فكلي واشربي وقري عينا)⁴⁸.

فماذا يجد الزائر لدير مارسابا

الزائر لدير مارسابا يجد نبعاً صغيراً ذكر الراهب الذي في الدير أنه ينتج أربعاً وعشرين تنكة ماء في اليوم⁴⁹ وقد أثبت ذلك صاحب كتاب جولة في تاريخه الأرض المقدسة حيث قال (وفي أسفل الوادي يوجد نبع ماء صغير وقرب النبع توجد نخلة)⁵⁰.



(قد جعل ربك تحتك سريراً)
صورة السري كما هو اليوم

⁴⁴ تفسير القرطبي 95/11.

⁴⁵ صفوة التفسير / محمد علي الصابوني 213/2.

⁴⁶ تفسير الطبري 69/16.

⁴⁷ تفسير ابن كثير 190/3.

⁴⁸ البداية والنهاية / ابن كثير 66/2.

⁴⁹ في الزيارة التي ذكرت سابقاً، وذكر من أتق به أن الماء الزائد من النبع كان يأتي إلى جذع النخلة، بخلاف ما هو عليه اليوم مع النخلة الصغيرة، وربما عملت الأيدي البشرية في تغيير الوضع.

⁵⁰ جولة في تاريخ الأرض المقدسة / حنا عبدالله حقمان صفحة 209.

أهل مريم خرجوا في طلبها

في تفسير ابن كثير قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عبدالله ابن أبي زياد حدثنا شيبان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي قال (وخرج قومها في طلبها، وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئاً⁵¹، فلقوا راعي بقر فقالوا: رأيت فتاة كذا وكذا نعتها؟ قال: لا، ولكني رأيت الليلة من بقري ما لم أره منها قط، قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيتها تسجد نحو هذا الوادي)⁵².
قال عبدالله بن أبي زياد: وأحفظ عن شيبان أنه قال: رأيت نوراً ساطعاً فتوجهوا حيث قال لهم: فاستقبلتهم مريم، فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها فجاءوا حتى قموا عليها (وقالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً).



طلاب كلية الدعوة يشربون من السري

⁵¹ أي لم يجدوها.

⁵² لعل في هذه الرواية ما يعني عن الرواية التي في الإنجيل عن المجوس الذين جاءوا من الشرق. ويعلق صاحب كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية / محمد بن طاهر البيروتي ص 119 بقوله نلاحظ ما لاحظته علماء الكتاب المقدس قبلنا أن هذه القصة لم ترد إلا في إنجيل متى يعني قد انفرد بها من بين سائر الأناجيل الأربعة ونذكر القارئ الكريم بأن الدراسات النقدية الغربية للكتاب المقدس قد أثبتت أن صدر إنجيل متى منحول مدسوس، ويذكر مراجع شواهد على هذه القضية.

الأناجيل لم تذكر النخلة والسري

يقول الدكتور أحمد شلبي (ليس عندنا كثير من المعلومات عن نشأة عيسى ويقول القس بولس شباط إن الأناجيل قد أوجزت الكلام عن حياة عيسى من مولده إلى دعوته فلم تذكر منها إلا نزريراً⁵³) ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار (لم يذكر متى شيئاً عن مولده سوى أنه ولد في بيت لحم⁵⁴ اليهودية أيام هيرودوس الملك ويقول الدكتور سهيل زكار وهناك خلاف حاد في المصادر حول الحياة المبكرة وحتى المتأخرة للسيد المسيح، لا بل إن الخلاف شمل كافة حياة المسيح، فأدى ذلك ببعضهم إلى إنكار وجوده تاريخياً، والذي اعتدل قال إن المعلومات المتوفرة حوله من المصادر المسيحية فيها زيف كبير واختراع⁵⁵).

وقول الأستاذ روجيه جارودي (قد يبدو أمراً فريداً من نوعه أن لا يدون مؤرخو هذه الفترة من رومان أو يهود بداية هذه الدعوة). ويقول الأستاذ حنا عبدالله جقمان (ومما لم تذكره الأناجيل وجاء ذكره في القرآن أن يتكلم الطفل في مهده).

أما الأستاذ عبد الوهاب النجار فيقول (فالقارئ يرى أن تلك الكتب لم تذكر أمر (النخلة) ولا (السري) بمعنى النهر ولا نذرهما الصوم ولا تأنيب قومها لها ولا كلامه في المهد وإنما ذكر كل ذلك القرآن المهيم على كتب أهل الكتاب).

من هو (مارسابا)؟؟

ولد (مارسابا) في كبادوكيا سنة 439م⁵⁶ وتوفي في ديريه في الخامس من شهر كانون أول 532م عن عمر يناهز 92 عاماً.

ودفن في ديريه هذا (دير مارسابا) ثم نقل في أوقات لاحقة إلى مدينة البندقية في إيطاليا، وفي أثناء زيارة البابا الراحل بولس السادس إلى الأراضي المقدسة 1964م تم الاتفاق على إعادة رفات القديس سابا إلى ديريه، وقد تم تنفيذ هذا الاتفاق في تشرين ثاني 1965م⁵⁷.

جاء (سابا) إلى فلسطين وهو في الثامنة عشرة من العمر 456 – 457م. وفي سنة 478م قرر سابا أن ينتقل إلى مغارة (وادي النار) إلى الشرق⁵⁸ من دير مارسابا وسكن هناك وحده في هذه البرية القاحلة سوى من الوحوش التي تجوبها⁵⁹.

⁵³ مقارنة الأديان – المسيحية – د. أحمد شلبي صفحة 32.

⁵⁴ يقول الأستاذ مصطفى الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين 42/2 اما هذه المغارة مغارة المهد في بيت لحم فغير محقق أنها نفس المغارة التي ولد فيها المسيح نقلاً عما ذكره جورج بوست عن بيت لحم (قاموس الكتاب المقدس 270/1 المطبوع سنة 1894).

⁵⁵ تاريخ الحروب الصليبية / د. سهيل زكار 11/1 دار الفكر.

⁵⁶ يذكر الأب (يوسف نعمات) في كتابه (بشرى الخلاص) صفحة 30: إن هناك خطأ في التاريخ الميلادي المعمول به حالياً بحوالي ست سنوات ويعلل رأيه أن الرومان اعتبروا تأسيس رمة منطلقاً لتاريخ الأحداث وبناء عليه ولد يسوع المسيح سنة 748 لتأسيس روما ولما عظم شأن المسيحية وازدهر انتشارها أصبح ميلاد المسيح بداية تقويم جديد.

وذكر أن (ديونيزيوس) الصغير الذي أدخل التقويم الراهن في القرن السادس الميلادي ارتكب خطأ هو أنه جعل ميلاد المسيح سنة 754 لتأسيس روما. إلا أن الدراسات الدقيقة المركزة أثبتت أن ميلاد المسيح تم سنة 747 – 748 لتأسيس روما، أي أن ميلاد المسيح الحقيقي حدث قبل الفترة التي حددها (ديونيزيوس) بست أو سبع سنوات.

ويضيف: ونتيجة لهذا الخطأ نحن اليوم أمام واقع غريب محير هو أن التقويم الميلادي الذي يأخذ به العالم لا يبتدئ بميلاد المسيح بالضبط، والحساب الصحيح هو أن المسيح قد ولد قبل التقويم الحالي بست سنوات أي أن سنة 1979م هي في الحقيقة 1985، وبما أن هذا الخطأ اكتشف في وقت متأخر، فقد ضرب المؤرخون صفحاً عنه وبقي العالم يسير على التاريخ القديم المتداول تلافياً للتعقيد، والله أعلم.

⁵⁷ جولة في الأرض المقدسة / حنا عبدالله جقمان صفحة 209.

⁵⁸ في رحلة طلاب مادة القصص القرآني في كلية الدعوة وأصول الدين – القدس إلى الدير ذكر الراهب هناك بأن (سابا) رأى مريم فأشارت له بالإقامة في الجهة المقابلة للدير (وأشار لنا إلى صليب مرسوم على صخرة على الجبل المقابل) ثم رآها مرة ثانية فطلبت منه الانتقال إلى مكان الدير. والسؤال: لماذا يرى (سابا) مريم خاصة وتطلب منه مثل هذا الطلب؟؟؟

⁵⁹ يقول الأستاذ حنا جقمان في جولة في تاريخ الأرض المقدسة صفحة 209 (وهناك رسومات كثيرة للقديس سابا في مغارته هذه وبعنايته أسد رايض ينظر إلى هذا الناسك وهو يصلي وقصة الأسد الذي شارك القديس سابا في صومعته سمعتها كثيراً ويرويها لنا الأجداد ونقلوها عن روايات سمعوها من أجدادهم).



سابا مسجى في صندوق زجاجي



طلاب كلية الدعوة مع الرهبان

(سابا) كان موحداً

يظهر من خلال البحث في حياة (مارسابا) أنه كان على ديانة المسيح عليه السلام الصحيحة وهي ديانة التوحيد، يقول الأستاذ حنا جقمان (وذاع صيت سابا خصوصاً في دفاعه عن الإيمان القويم في عهد مجمع خلقيدونية سنة 451م)⁶⁰

ومعروف أن الخلاف كان في مجمع (خلقيدونية)⁶¹ ومن قبله مجمع (نيقية) 325م حول قضية الوجدانية وقضية الطبيعتين والمشيئتين للمسيح عليه السلام، وقد تزعم القول بالوجدانية في مجمع (نيقية) (اريوس) ودافع عنها في مجمع (خلقيدونية) (سابا).

يقول الأستاذ روجيه جارودي (وقد ظهر في الإسكندرية كاهن يدعى (اريوس) 256 – 336م، وقد حكم عليه مجمع (نيقية) لأنه لم يقبل بالاعتراف بأن يسوع من روح الأب، وقد تبنت الأغلبية العظمى من الكهنة والجماهير في فلسطين مذهب (اريوس) ولعل دير القديس سابا قرب القدس أشهر وأكبر مثال على هذا التطور الروحي المسيحي، ففي عام 478م أقام أحد النساك الذي ظل يجوب في صحراء يهودا على مدى خمس سنوات وعرف فيما بعد باسم (القديس سابا) في مغارة تقابل ديراً ما تزال آثاره ماثلة حتى اليوم.

إن هذا الجدل اللاهوتي هو الذي يتيح لنا أن ندرك سبب الاستجابة السريعة إلى الإسلام من قبل (الاريسيين)⁶² الذين وجدوا⁶³ في الإسلام صدى لعقيدتهم)⁶⁴.

والحمد لله رب العالمين



على مدخل الدير وفي الصورة محدثي عن الدير

⁶⁰ جولة في تاريخ الأرض المقدسة / حنا عبدالله جقمان صفحة 209.

⁶¹ انظر كتاب المسيحية / د. أحمد شلبي صفحة 168.

⁶² لعل هذا يذكر بالرهبان الذين كان ينتقل بينهم سلمان الفارسي رضي الله عنه حتى وصل الرسول صلى الله عليه وسلم والفترة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومارسابا قريبة.

⁶³ ذكر لي من حدثني عن الدير – وهو ثقة – أن الراهب الذي كان مسؤولاً عن الدير في سنوات الأربعينات 1940 كان مسلماً، فقد دخل إلى غرفته فجأة ودون علم الراهب به، فوجده قائماً يصلي صلاة المسلمين، وبعد أن أنهى صلاته رجاه أن لا يبوح بهذا السر لأحد، والله أعلم.

⁶⁴ فلسطين أرض الرسالات السماوية / روجيه جارودي صفحة 116.

من تقارير طلاب مادة القصص القرآني في كلية الدعوة وأصول الدين – القدس

قام مجموعة من طلاب مادة القصص القرآني في كلية الدعوة وأصول الدين – القدس ضمن نشاط المادة برحلة على الأقدام ليتتبعوا آثار خطوات مريم عليها السلام في رحلتها فانطلقت الرحلة من باب الأسباط قرب المسجد الأقصى المبارك يوم الخميس 1991/11/14م الساعة الثامنة صباحاً تقريباً وتوجهت نحو الجسمانية حيث قبر مريم عليها السلام اليوم ثم سارت في الوادي المعروف بوادي قدرون مروراً بقريّة سلوان ثم وادي النار المحائي لجبل المكبر والعيبيدية وأبو ديس والسواحة الشرقية حتى وصلوا إلى الهدف المنشود وهو دير مارسابا وقد استغرقت الرحلة زهاء أربع ساعات ونصف، وعلى أثرها كتب الطلاب انطباعهم عن الرحلة فكان مما جاء في تقاريرهم:



طلاب كلية الدعوة في رحلة إلى الدير وفي الصورة المؤلف

الطالب حمزة أحمد حمزة:

إن المتتبع لهذه الرحلة والمتفحص في دقائق أمورها غذا ما قورنت بقصة مريم عليها السلام التي وردت في القرآن الكريم يجد تشابهاً كبيراً، فهي قد انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً إلى الشرق من المسجد الأقصى، والسير في الوادي المؤدي إلى ذلك المكان، وكذلك وجود العين بالقرب من النخلة في داخل الدير وفي مكان أسفل منها لدليل عظيم على صدق ادعائنا. (قد جعل ربك تحتك سرياً).

الطالب محمد محمود قاسم:

وجدنا في هذه الرحلة ما يرجح ويؤيد أن مريم عليها السلام ولدت عيسى عليه السلام في المنقطة التي يوجد فيها الدير ومما يرجح ذلك ما يلي:

- 1- كون المكان بعيداً عن الأقصى – بيت القدس – قال تعالى: (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً).
 - 2- وجود النخلة في ذلك المكان بالرغم من أننا طوال تلك الطريق لم نر نخلة واحدة.
 - 3- عمر النخلة كما قدره الراهب بقوله ألفي سنة وهو قريب من ميلاد المسيح عليه السلام.
 - 4- وجود عين الماء تحت مكان الشجرة، قال تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً).
 - 5- صفة عين الماء فهي قليلة أو بطيئة التدفق مما يرجح أنها نفس العين قال تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً) ولم يقل عيناً.
 - 6- ما سمعنا من روايات حول الدير مثل أن تمر النخلة كان يستعمل كعلاج للنساء اللواتي لا يحملن، وأن سبب عدم نمو النخلتين الصغيرتين هو أن الناس يأخذون منها أغصاناً لنفس الغرض السابق.
- فالرحلة كانت موفقة والحمد لله، وممتعة وشيقة وتدريبية وخشنة.

الطالب سالم محمد شلش:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:
المفاجآت في حياة الإنسان في هذه المعمورة كثيرة منها ما يعرفها ومنها ما لا يعرفها وإذا عرفها صعب عليه التصديق الجازم إلا بعد التحري والمشاهدة:
ورحلتنا في تحري ميلاد عيسى عليه السلام وعذاب مريم عليهما السلام بحمله وخوفها من أهلها جعلني أشتاق كثيراً إلى مدى معاناتها بروحي ووجداني غداً كان الانطباع عندي رأياً فردياً لأنني سرت وحيداً إلا أنه لا ينفك عن شعور إخواني من الأهمية والشعور بالسعادة بعد أن اتضحت لنا الحقيقة جلية بأم أعيننا.

الانطباع السائد عندي وعند المسلمين هو أن عيسى عليه السلام قد لود بالمهد في بيت لحم مع أننا كمسلمين نشك في ذلك لتحريفهم ولكن الحقيقة لم تكن واضحة جلية لدينا وبالذات أنا لم أكن أعرف هذه القصة ومسيرها وحملها ووضعها، وأين النخلة والعين وإنما كانت مجرد خيال في نفسي، وأحسبه في مكان آخر من العالم، وهذه القضية بحثت في جلسة عندنا بين الشباب لم يؤيدوا المولد في المهد ولكن في مكان آخر أين؟؟ لا ندري!! فكان انطباعي السائد بعد جريها وهيامها في الوادي المسمى اليوم (وادي جهنم) يجري ويسعى بلا شعور لأن الوادي في وضع نزول واستمر معها السعي مدة ثلاث ساعات تقريباً أو أربعة، كما كان مع إخواني، مع ذلك المهم في حملها وسيرها لم تطمئن إلا بعد هذا المسير الطويل والملاحظ أن الجاري بالوادي لا يطمئن من اللاحق به إلا بعد هذا المسير الطويل، والملاحظ وقوع المعبد بين الجبال يحي بالأمن من البعد ووقوعه بين جبال شاهقة فكان انطباعي أنه في غير هذا المكان ولكن انطباعي أن موقعه ملائم للأمن.

النخلة والماء، أدهشني وجودهما هناك في جبال فقرة وبين صخور، فقضت كلمة الله أن يستمر هذا حتى يومنا.

وطبيعة النخلة في الماضي من أثمارها ونوعية الثمر دليل على قدرة الله والماء الذي يستمر إلى اليوم ويعطي جرة واحدة، وأن هذه النخلة والماء بمثابة دواء كما قال الراهب من أجل الحمل.
انطباعي النهائي: أنها رحلة حلوة وجميلة لم أرثل مثلها وعشت ثلاث ساعات بين الجبال والأودية وفي النهاية مع المشقة التي كانت مع فقدان أصحابي وتحليق الطائرة من فوقي إلا أنني وصلت الهدف

أخيراً وقرت عيني أكثر عندما وصلت مجموعتنا وازدادت فرحتنا بمعرفة الموقع والتجول فيه عن كثب والترتيب مع غخوة لنا بالعودة.

أنصح بأن يذهب جميع الباحثين عن الحقائق إلى مثل هذه المواقع الهامة من بلدنا الحبيب. وأن يخرج كتيب في ذلك إذا ثبت صحة هذا القول حتى يطلع على الحقائق لأن الناس عامتهم عندهم جهل بهذه القضية بعد البحث معهم والتحدث في هذه القصة نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا وأن يفهمنا الحقائق.

أمين يا رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الطالب حسين محمد جاموس:

تمهيد:

قال تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) الآية.

انطلاقاً من هذه الآية الكريمة المباركة، وما تلاها من آيات عن قصة مريم، ومولد عيسى عليه الصلاة والسلام، ظهرت الرغبة الحقيقية في معرفة حقائق هذه الآية أو الآيات، من حيث الأمكنة والكيفية والدلائل التي تشير إلى أحداث هذه الآيات، ثم ما ذكره النصارى في إنجيلهم – العهد الجديد – وبينوه في أن مولد عيسى كان في بيت لحم – المهد – حيث كنيسة المهد هناك، وتسليحاً بقوله تعالى: (يحرثون الكلم عن مواضعه)، اشتدت الرغبة عندنا في معرفة الحقيقة والواقع، وهل هو صحيح ما يدعيه النصارى من تحديد مكان مولد المسيح عيسى عليه السلام في بيت لحم، فانطلاقاً من هذه الأمور، وحتى نكون حريصين على إظهار الحق لكل المسلمين في كل الأرض، قام طلاب مادة القصص القرآني في كلية الدعوة ببيت المقدس، بعمل تحقيق شامل، وعملية استكشافية لمنطقة معينة تبين لنا فيها مسبقاً من مجموع الحقائق أنها قد تكون هي مكان مولد المسيح عليه السلام، واستناداً إلى هذه الحقائق والدلائل والبراهين، قمنا وبعون من الله تعالى بخوض غمار الرحلة التي قامت بها مريم عليها السلام حتى استقرت في مكان ظهر لنا جلياً أنه هو المكان الذي ولد فيه المسيح عليه السلام من خلال ما لمسناه ورأيناه من أدلة، وفي هذا البحث أو التقرير إن شاء الله سندون أموراً لم يتطرق إليها إنس ولا جان على هذه البسيطة تتعلق بنبي من الأنبياء الكرماء ألا وهو عيسى عليه السلام، وأمه مريم عليها السلام، وسيظهر لنا حقيقة مكان ولادته – وأنه ليس كما يدعيه النصارى وسنبنينا تقريرنا هذا على أدلة قاطعة وبراهين ساطعة، تزيل الغمامة عن العيون وتظهر الحق نظيفاً طاهراً بثوبه الجميل، حتى تكون عبرة للناس جميعاً، فدعوة حارة نوجهها لقراءة هذا التقرير الهام جداً.

غايات الرحلة وأهدافها:

أستطيع أن أقول إن أهم هذه الأهداف هي:

- 1- إثبات أن المسيح عليه السلام كان مولده بمكان يسمى – واد جهنم – أو واد النار كما يسميه النصارى، وهو مكان دير مقام حالياً يسمى (دير مارسابا).
- 2- إثبات تحريف عقيدة النصارى وإنجيلهم.
- 3- إظهار الطريق التي سارتها مريم عليها السلام، والنبع الذي شربت منه، والنخلة التي أكلت منها.

وغير ذلك من الأهداف التي ستظهر في هذا البحث.

وصف لمنطلق الرحلة إلى نهايتها من حيث ما يلي:

زمن الانطلاق حتى النهاية:

بدأت الرحلة يوم الخميس الموافق 14/11/1991م، الموافق 8/جمادى الأولى 1412هـ الساعة الثامن صباحاً، وانتهت في نفس اليوم الساعة الثانية عشر ظهراً في دير مارسابا/ فكانت أربع ساعات كاملة.

مسافة الرحلة:

قدرت مسافة الرحلة على الخارطة بحوالي 15 كيلومتراً.

وسيلة الرحلة: تمت الرحلة مشياً على الأقدام اقتداءً بمريم عليها السلام.

وصف طريقة الرحلة كاملة:

ابتدأ تجمع أفراد الرحلة قرب باب الأسباط، ثم دخلنا إلى الحرم الشريف قبل انطلاقنا، فصلينا تحية المسجد، ثم ركعتي الضحى جماعة، ثم قرأنا دعاء السفر، ثم قسمنا أنفسنا لمجموعتين، الأولى برئاسة الطالب محمد قاسم من قرية سلوان الذي انطلق بمجموعته أمامنا، ثم كانت المجموعة الثانية برئاسة المعلم الفاضل أحمد فواعة، وتبعت المجموعة الأولى مباشرة بعد ربع ساعة، وفي الطريق بدأنا بتقصي الحقائق كاملة، حيث كان باعتقادنا أن مريم انطلقت من مكان المسجد الأقصى إلى ناحية الشرق مصداقاً لقوله تعالى: "إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً" فسرنا بعون الله ومشيبته على هذه الطريق فشهدنا في طريقنا آثار ما يسمى بـ "طنطور فرعون" وكذلك "مقام زكريا" في منطقة تدعى الجثمانية، استمر سيرنا على الطرقات ثم الجبال والوديان، إلى أن خرجنا من المنطقة السكنية "سلوان" ودخلنا في منعطفات الجبال والديان، وحولنا الأشجار المثمرة والمزروعات المختلفة التي تروى من مياه المجاري الذي يضم مجاري القدس ويصب في البحر الميت، فسرنا على محازاته ونحن ننظر حولنا إلى مخلوقات الله الواسعة، ورغم الصعوبات والتعب، إلا أننا وفي سبيل الله ثم في سبيل تحقيق الغرض الذي شكلنا هذه الرحلة من أجله مضينا في مسيرنا بخطى مكيئة وقلب خاشع لوجه الله تعالى نقطع الجبال الطويلة والوهاد والصخور والانجرافات الخرية مسافة خمسة عشر كيلومتراً كاملة حتى وصلنا إلى هدفنا بفضل الله ورعايته، وأريد أن أذكر هنا أن الطريق التي سلناها بوصفها الحالي وشكل تضاريسها قد لا تكون تماماً الطريق التي سلكتها مريم عليها السلام، فأستطيع أن أخمن أن الطريق في زمن مريم كانت تكاد تكون مستوية مما جعلها تسير بانسياب تام دون توقف، أما طريقنا فقد فعلت بها العوامل الطبيعية والجوية فعلتها فشكلت المجاري المائية، والمنحدرات الصخرية، والوديان الملتوية، وغير ذلك مما جعل رحلتنا صعبة شاقة، أما الآثار أثناء الرحلة فكانت قليلة فقد شاهدنا "طنطور فرعون" الذي سبق الإشارة إليه، وشاهدنا بعض المساكن القديمة الخالية، وبعض الآثار المهدامة وغير ذلك هذا ما أستطيع قوله.

الصعوبات التي صادفتنا:

كان من أهم تلك الصعوبات أثناء الرحلة:

- 1- الانزلاقات الصخرية والجبلية والتي تشكل خطراً كبيراً على السائر عليها.
- 2- علو الجبال وارتفاعها الشاهق.
- 3- التعب المهلك من طول المسافة.
- 4- حرارة الشمس الشديدة.
- 5- خط المجاري القادم من القدس حيث أوجد لنا صعوبة في قطعه.
- 6- جهل الناس حولنا وجفوتهم وعدم معرفتهم لحقيقة الأبعاد والمسافات.
- 7- الأسلاك الشائكة التي في طريقنا التي توضع حول الأراضي.

وصف موقع الدير بكل جوانبه وأبعاده:

وأخيراً وبفضل الله تعالى وتوفيقه وصلنا إلى موقع الدير الحقيقي، والذي هو المكان الذي وصلت إليه مريم عليها السلام... "أكاد لا أصدق ما أراه بأب عيني، مكان الدير وما حول الدير وما يحيط به، أمور كثيرة لا يكاد الناظر إليها يصدقها.. أمور عجيبة بالغة في الدقة: فالمكان جبلي شاهق، وحوله منحدرات صخرية وعرة جداً، وتحتة واد يسمى وادي جهنم، وفيه تجري مجاري مياه القدس، وحوله حياة شبه ميتة فلا أشجار، ولا ينابيع، ولا حتى مواسير ماء للشرب، وطبيعة المنطقة لا تسمح حتى بإقامة حياة متكاملة، والدير يقع على بطن الجبل الذي أمامه كهوف وغرف في الصخور مغلقة، يعتقد راهب الدير أن الذي أنشأها هو سابا ومن جاء بعده من الرهبان، أما وصف الدير من الخارجي فإنه يشكل قلعة ضخمة حصينة مخفية، تحيط حوله أسوار ضخمة على رأسها مجموعات من الحجارة مسنلة على شكل "سلسلة" ومرتبطة فوق بعضها، وعلى أحد جوانب الدير منارة ضخمة للمراقبة، وقد رأينا أن الشارع أو الطريق التي توصل إلى الدير من أسفل الجبل هي طريق طويلة شاقة جداً تلتف حول الجبال بشكل مخيف ومهيب، والطريق مرصوفة "على حسب الرصف القديم" حيث هي مرصوفة بحجارة ملساء على الأرض تشكل طريقاً سهلاً، وفي أول هذه الطريق منارة عليها صليب ومرسوم

عليها سهمين أحدهما للإرشاد إلى موقع الدير والأخرى للإرشاد للخروج منه، وعند نهاية الطريق هناك طريق إسفلتية توصل الدير بالقربية المجاورة له، والذي أعجبني وهزني هو تلك الطريق المرصوفة، برصف متقن للحجارة عليها، وبالشكل القديم الفائق في الجودة والإتقان، وأعود للدير فأجراس ضخمة تحيط به، والعجيب كذلك أن الباب الرئيس الذي شكله صغير لكنه ضخم جداً، بعد أن طرقتنا الباب وطلبنا الإذن بالدخول، سمح لنا بالدخول.

وصف الدير من الداخل:

إن الداخل للدير لأول مرة دون مرشد أو راهب يدلّه على المواقع يضل ولا يعرف طريقه لكثرة الممرات والغرف والأدراج وغير ذلك... بعد أن دخلنا أمرنا أحد الرهبان وهو من أصل ألماني أن نجلس بانتظار الراهب الكبير وعند حضوره، وهو من أصل يوناني، رحب بنا، وحقاً لقد بلغ منا الجهد والتعب كل مبلغ، فسار بنا الراهب إلى غرف وممرات وكنائس ومضافات مختلفة احتوت على آثار ومواقع عديدة، وزرنا خلالها الدلائل التي كنا نبغيها فوجدنا ما طلبنا، وعرفنا ما أردنا، وشفيينا غليلنا مما رأينا.

وصف الرهبان الذين استقبلونا:

ذكرت أن الذين استقبلونا أحدهما الكبير والآخر مساعد له، فالأول من أصل يوناني، والثاني من أصل ألماني، وكلاهما بلباس الرهبان المتعبدين بالدير، وقد اعتذر لنا الراهب الكبير فخرج لأنه كان على موعد في بيت لحم، ولا أخفي فالحق يقال: أن كلا الرهبين استقبلانا بحفاوة بالغة وكرم أصيل، وسماحة طيبة، ولا أبالغ في الوصف فقد أرادوا إكرامنا وأكرمونا، بالشرب من الماء الطاهر، والأكل من محلياتهم أو ما يسمونه (كرميلا) وأرادوا إسقاءنا القهوة لكننا اعتذرنا لعجلتنا فخرجنا عند انتهاء الزيارة وقد النقطنا بعض الصور برفقتهم وهي تظهر سماحتهم وأدبهم.

وصف المشاهدات كاملة داخل الدير:

- فهذا ما جئنا لأجله وما طلبناه، والحمد لله فلقد وجدناه وعرفناه، والوصف يشمل النواحي التالية:
- 1- فأول ما دخلنا إليه الكنيسة التي يتعبدون بها وقد احتوت على جثمان "سابا" منشئ الدير، مسجى بغطاء سميك مزخرف، في تابوت نصفه من الخشب والنصف الآخر من الزجاج، ويظهر من خلاله وجهه على شكل جمجمة محروقة فارغة، والظاهر أنه هيكل عظمي، وفي داخل الكنيسة العديد من الصور التي تظهر عقيدتهم الباطلة وبعض الكراسي والنواقيس وغير ذلك.
 - 2- ثم ذهبنا إلى غرفة أخرى هي غرفة الطعام عندهم حيث رأينا بعض الطاولات المصفوفة بجوار بعضها وعليها أباريق وممالح وعلى الجدران صور مختلفة.
 - 3- المقبرة الأرضية: ولا أنسى أن أنبه أن مقبرتهم التي يدفنون بها موتاهم من الرهبان والقسيسين تقع تحت باحة الدير تماماً، فإن الباحة التي أمام الغرف فيها حفرتان مغلقتان، إذا مات أحدهم ينزلوه في هذه الحفرة العريضة والعميقة فيبقى فيها إلى أن يصبح هيكل عظمياً، ثم ينزلون فيأخذون جمجمته ويضعونها أمام الزوار!!!
 - 4- خلع القبعات: وأذكر كذلك أنه عندما دخلنا إلى كنيسة نعش سابا أمرنا الراهب بخلع قبعاتنا، والظاهر أنها شعيرة مقدسة عندهم.
 - 5- البئر: ورأينا كذلك في إحدى الغرف بئراً لماء الأمطار وبجواره ألواح من الخشب تقع جانب فرن في الجدار، والظاهر أنها كانت تستعمل قديماً، ثم أوقف الاستعمال بها بدليل الغبار الكثيف الذي يملؤها.
 - 6- الرسومات: وأغلب الرسومات التي رأيناها في الغرف تكاد تنحصر في بعض معتقداتهم مثل: المسيح، مريم العذراء، رهبان مشهورين، سابا...
 - 7- الأرضية: أما أرضية الكنيسة في أغلبها فلا تتعدى أن تكون إحدى حالتين إما "مده" بالإسمنت الناعم" وإما بلاط لامع نظيف جداً كالمرآة، وهنا وهناك الأدراج والسلالم المختلفة التي توصل إلى الغرف.

- 8- مكان النخلة: وأخيراً والله الحمد والشكر عثرنا على أول دليل قاطع صارخ وبرهان أكيد ألا وهو مكان النخلة التي أكلت منها مريم عليها السلام، فأول ما يتبادر إلى الذهن صاعقة مخيفة... مكان لا تجد فيها جنس النخيل، أو حبة تمر حتى، أو قل شجرة مثمرة فقط، مكان قفر ليس فيه أي نخلة قطعياً "بتاتاً" فكيف هذه النخلة منفردة وحدها في مساحة فارغة قفرة لعدد بعشرات الكيلومترات على مختلف الجهات؟؟!! فهذا أول دليل قاطع على ما رأيناه، وحسب قول المعلم الفاضل فإنه كانت في السابق نخلة عظيمة طويلة تقطع الثمار عنها بعد صعوده على رأس الدير بطوله الشاهق، وقد رأينا قطع وأثار هذه النخلة الشاهقة في مغارة معتمة وضيقة أسفل الدير، وقد كانت حقاً أثراً عجيبة، وقطع النخلة القديمة هي ضخمة جداً، وحسب قول الراهب أن النساء قديماً كن يتبركن بها، فإن المرأة العقيم التي لا تنجب مجرد تناولها لقطع من هذه النخلة تصبح بإذن الله منجبة وتحمل من زوجها، وهذه إشارة أخرى – إن صحت – تؤكد ما قلناه من بركة هذه النخلة وأكل مريم لها التي لم يمسهها بشر ولم تك بغياً، وأنجبت عيسى عليه السلام من نفخة من الله، وفي مكان النخلة هناك حالياً نخلة صغيرة نبتت بعد موت الكبيرة، وحسب ما قيل لنا أن كل نخلة تموت تنبت مكانها نخلة أخرى صغيرة هي بنت النخلة الكبيرة مباشرة، وهذه إشارة أخرى إلى بركتها.
- 9- عين الماء المباركة: وهذا هو الدليل الثاني على ما نقول، قال تعالى: "قد جعل ربك تحتك سرياً" ففي هذا المكان القفر، تظهر عين من الماء الطيبة جداً، البارد شربها، التي تنقط وتعطي الماء بدقة محكمة وفعالة، فحسب ما قيل لنا أن هذه العين كانت تنقط نقطة نقطة، حيث تشكل تنكة ماء كل أربع وعشرين ساعة، وقد زادت هذه العين حيث أصبحت تعطي تنكة ماء كل ساعة، وقد بهرنا لمنظرها وموقعها، فهي مغارة تقع أسفل الدير، وتجمع مياهها في حوضين موضوع حولها الأباريق والأكواب للشرب منها وهي بالغة في البرودة والطيب، وقيل لنا من مصادر موثوقة أن هذه العين لم يكن هذا موقعها إنما كانت تقع في موقع آخر تغذي من خلالها النخلة التي تستمر في عيشها وحياتها والذي يظهر أنهم نقلوها للأسفل لتمكن النساء من الوصول إليها وهذا ما سنشير إليه.
- 10- موضع النساء: من المعلوم تماماً أن النساء يحظر عليهن دخول هذا الدير. وهذا أمر لا نعلم سببه، والذي يظهر أن خلفه أمر كبير، وقد بني للنساء موضع يستطعن الوصول إليه بعيداً عن الدير الأصلي، وهذا المكان يشرف على الدير الضخم ويمكن النساء كذلك من الوصول إلى نبع الماء السفلي، فلذلك فالنساء يحرم عليهن الوصول إلى هذا الدير.
- 11- جماجم الرهبان: وأخيراً أخذنا الراهب إلى كنيسة أخرى احتوت على صور في الجدران مختلفة الأشكال والألوان، والعجيب في هذه الكنيسة هي تلك الجماجم المنتشرة في صناديق من الخشب والزجاج في واجهة الكنيسة ولدى السؤال علمنا أنهم يأخذون جماجم مشاهيرهم من الرهبان والقساوسة ويضعونها في هذه الصناديق للتبرك وغير ذلك... وحقاً إن هذه الكنيسة يمكن تسميتها "كنيسة جماجم الرهبان".

نتائج الرحلة:

في الحقيقة لقد أثمرت رحلتنا – أيما إثمار – وتحققت نتائجها على أوضح ما يكون، ونجحت بتفوق أكيد، وبرهان ساطع، كل ذلك بفضل الله تعالى قبل كل شيء، ثم بفضل جهود المعلم الفاضل ثم بفضل الطلاب المجدين في هذه الرحلة، والذين اختيروا بعناية فائقة، ولقد ظهرت ثمار هذه الرحلة الطيبة كالتالي:

- 1- اكتشاف طريق الرحلة التي سلكتها مريم عليها السلام وهي طريق انسيابية في الوديان الطويلة تجعل السائر فيها لا يشعر بنفسه ولا يحس بأقدامه، وقد يتبادر سؤال كيف استطاعت مريم أن تسحب كل هذه المسافة دون تعب أو إحساس والجواب من نواحي:
- أ. الطبيعة النفسية أو الحالة النفسية التي كانت فيها مريم وخاصة بعد سماعها أنها ستحمل بولد وهي لم تكن متزوجة أو باغية والعياذ بالله، فكانت تشعر بأسى وحزن شديد وتكاد تنفجر وهذا يظهر أنها كانت تسير على غير هدى، إلا بقدرة الله عز وجل،

فكان الحزن والأسى ورغبة الموت تنسيها فقر المنطقة ووحشتها والوحوش التي بها إن وجدت.

ب. طبيعة المنطقة التضاريسية في ذلك الوقت حيث لم يكن هناك مجاري للماء أو أرض زراعية، أو منجرفات صخرية أو وديان ملتوية أو انزلاقات صخرية خطيرة، فكانت المنطقة انسيابية هادئة.

2- النخلة التي ظهرت في ذلك الموقع القفر الذي لا يوجد في أي ناحية من أبحاثه أي جنس للنخيل أو حتى تجربة لزراعته إلا هذه النخلة الموجودة في أعلى الدير، ثم طريقة الاستشفاء منها، ثم نمو النخلات الصغيرة بعدها وفي نفس المكان – أي بعد موت الكبيرة – كل ذلك يشير إلى أنها هي تلك النخلة التي جاء ذكرها في القرآن في قوله تعالى "وهزي إليك بجدع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً".

3- نبع الماء وبرودته وطعمه الصخري اللذيذ، وموقعه المهيّب في مغارة منخفضة وأحواض نظيفة براقية كل ذلك يشير إلى أنها تلك العين التي شربت منها مريم، وكانت النخلة تشرب منها على مر العصور، كذلك، النظام الدقيق في نبعها وتحديد ذلك بدقة تتكئة كاملة كل أربع وعشرين ساعة أو كل ساعة هذا كله يدل على صدق ما نقول.

4- قداسة المكان وطهارتها من حيث ما يلي:

أ. منع النساء: النجسات خاصة من دخول هذا الدير منذ أقدم الزمان إلى الآن.
ب. وإلى الآن لم تدنس أرض الدير أو الأرض المحيطة به من حيث سكن اليهود فيها وحولها أو سكن الفجار أو الفساق فيها أو حولها سوى ذلك النفر القليل من الرهبان العاملين فيه.

ج. النواحي الأمنية التي فيه من حيث الأجراس، والأبراج، والمراقبة، والدقة في إدخال الزوار وغير ذلك... كل ذلك يشير بإصبع التأكيد أن هذه إمارات وغمسات إلى القوة الإلهية في هذا المكان، وإلى أن هذا المكان ذو عراقة تاريخية أصيلة طيبة.

5- شكل وطبيعة الجبال القريبة من الدير والتي على الشكل الهرمي – حيث تشبه الأهرامات في الجزيرة في مصر – وقد تكون إشارة إلهية.

6- تسمية الواد الذي يقع فيه الدير بواد النار، أو واد جهنم كما في المصادر الإسلامية – انظر الأتس الجليل – وهذا كذلك قد يكون إشارة إلهية إلى المكان من حيث الطهارة وحظر النجاسة فيه.

7- وأخيراً... إن من يسكن هذا الدير لا يجوع أبداً ولا يظمأ تماماً، وهذا قد لا يلاحظه أحد، فالحقيقة أن الجائع يأكل من النخلة الدائمة الأثمار، وأن الظمآن أو العطشان يشرب من ماء النبع الدائم في إعطاء الماء الطيب، وهذه إشارة أخرى إلى بركة المكان وإلى القدرة الإلهية التي فيه.

× الخلاصة:-

وأخيراً ومن خلال ما سبق ذكره، فالحق والصدق واليقين والعقل والقلب جميعاً يشيرون إلى صدق الحقيقة القائلة أن هذا المكان هو مكان مولد المسيح عليه السلام، وأن تلك النخلة التي أكلت منها أمه، وأن ذلك النبع هو النبع الذي شربت منه أمه، فلا يبقى مجال للشك في صدق هذه الحقيقة، ونفي ما يدعيه النصارى من أن مولده هو في بيت لحم.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين